

التبيان في تفسير القرآن

(362) قوله تعالى: (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره إلى قوله.. الظالمين). اعلم أن تعالى في هذه الآية المؤمنين أن المنافقين يهزءون بكتاب الله الذي هو القرآن، وأمرهم أن لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا، يعني يأخذوا في حديث غير القرآن، ثم قال: انكم أن جالستموهم على الخوض في كتاب الله والهزء به، فأنتم مثلهم، وأنما حكم بانهم مثلهم متى رضوا بما هم فيه، ولم ينكروا عليهم مع القدرة على الإنكار، ولم يظهروا كراهية، فانهم متى كانوا راضين بالكفر، كانوا كفارا، لأن الرضاء بالكفر كفر. وفي الآية دلالة على وجوب إنكار المنكر مع القدرة على ذلك، وزوال العذر عنه. وإن من ترك ذلك مع القدرة عليه كان مخطئا أثما. وكذلك فيها دلالة على أنه لا يجوز مجالسة الفساق، والمبتدعين من أي نوع كان. وبه قال جماعة من المفسرين. ذهب إليه أبووائل، وأبراهيم وعبدالله. وقال إبراهيم: من ذلك إذا تكلم الرجل في مجلس بكذب، يضحك منه جلساؤه، فسخط الله عليهم. وبه قال عمر بن عبدالعزيز وقيل: إنه ضرب صائما كان قاعدا مع قوم يشربون الخمر. وقال ابن عباس: أمر الله بذلك الانفاق، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، والمراء والخصومة وبه قال الطبري والجبائي والبلخي وجماعة من المفسرين. قال أبوعلي الجبائي: أما الكون بالقرب منهم بحيث يسمع صوتهم ولا يقدر على إنكاره، فليس محظور، وإنما المحظور مجالستهم من غير اظهار كراهية ماسمعه أو يراه. وقوله: " إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا " ومعناه أن الله يجمع الفريقين من أهل الكفر، والنفاق في القيامة في النار. والعقوبة فيها كما اتفقوا في الدنيا على عداوة المؤمنين، والمؤازرة عليهم. قال الجبائي: في الآية دلالة على بطلان قول الاصم، ونفاة الاعراض وقولهم: أنه ليس ها هنا غير الاجسام، لأنه